

الملاحظات

بمناسبة حلول عيد النوروز عام 1863م نصب حضرة بهاءالله خيمته وسط مزرعة في ضواحي بغداد تعرف باسم مزرعة الوشاش. وهو مكان استأجره له أخوه المخلص ميرزا موسى. واحتفل حضرته بالعيد مع أصحابه الذين نصبوا خيامهم أيضا في الفسحة المجاورة. وفي مثل ذلك الوقت من السنة، ومع ابتداء فصل الربيع واعتدال الطقس، تغدو النزهة ممتعة للغاية، خاصة وأن حضرة بهاءالله كان يعشق الريف وقضاء وقت فيه مستمتعا بجمال الطبيعة ومناظرها الخلابة.

وفي اليوم الخامس بعد النوروز نزل "لوح ملاح القدس". وخرج إثر ذلك ميرزا آقا جان، كاتب الوحي، من خيمة حضرة بهاءالله ومعه اللوح، فجمع الأحباء حوله وتلا عليهم ذلك اللوح الملقى بالأسى. ومع أن حضرة بهاءالله قد لمح في السنة الأخيرة لمكوثه في العراق، وفي عدة مناسبات، إلى الامتحانات والمحن القادمة، إلا أن أصحابه ومرافقيه لم يشعروا بالحزن بمثل ما شعروا في ذلك اليوم.

وسجل النبيل، الذي شهد الحدث، الكلمات التالية:

"تلاطمت بحار الأسي في القلب حين قرىء "لوح ملاح القدس"... وكان من الواضح لكل فرد أن فصل بغداد يوشك أن ينتهي، وأن فصلا جديدا يوشك أن يبدأ. وما كاد هذا اللوح يقرأ حتى أمر حضرة بهاء الله بأن تطوى الخيام المضروبة وأن يعود كل أصحابه إلى المدينة. وبينما كانت الخيام تطوى قال: (ما أشبه هذه الخيام بمتاع الدنيا وزخرفها، ما أن ينتشر وينبسط حتى يكرّ عليه الدهر فيطويه).

وأضاف النبيل أن الخيام ما كادت تطوى حتى وصل مبعوث نامق باشا، والي بغداد وسلم حضرة بهاء الله مذكرة خطية تدعوه إلى مقابلة الوالي في مقره الحكومي. ومع أن حضرته قبل الدعوة إلا أنه اقترح أن يتم اللقاء في أحد مساجد المدينة في اليوم التالي لعدم رغبته في مقابلة رجال السلطة في مقر الحكومة.

كان نامق باشا -كسلفه- يكنّ لحضرة بهاء الله كل التقدير والإعجاب ويدرك علمه اللدني ومقامه الرفيع حتى أنه أحجم بنفسه، مدة ثلاثة شهور، عن الحضور لإبلاغ حضرته بقرار الحكومة العثمانية بوجوب الانتقال إلى الآستانة. ولما أمره الصدر العالي للمرة الخامسة بتدبير أمر النقل، اتخذ نامق باشا هذه الخطوة مكرها، ولشعوره بالخجل من مواجهة حضرته في المسجد، أرسل نائبه أمين أفندي لتسليمه المذكرة. وعندما كان حضرة بهاء الله في حديقة الرضوان، بعد عدة أسابيع، تشرف نامق باشا بمحضره الأنور وقدم فروض الاحترام لمن كان يعتبره علما لامعا من أعلام العصر.

نزل "لوح ملاح القدس" في جزأين، بالعربية والفارسية، ويتحدث بشكل رئيس عن الميثاق وعدم وفاء الناس به. ولا ينحصر هدف اللوح على فترة ولاية حضرة بهاء الله وحدها بل يشمل فترة ولاية كل من حضرة عبدالبهاء وحضرة شوقي أفندي بالإضافة إلى ما يتبع ذلك من الفترات حتى وقتنا الحاضر. ويتفضل حضرة عبدالبهاء عن هذا اللوح: تفكروا في "لوح ملاح القدس" لتدركوا الحقيقة، وكيف أن الجمال المبارك أنبأ بكل الأحداث المقبلة وفي ذلك عظة للمتبصرين!

لم يكن حضرة عبدالبهاء ليبحث أحباءه على دراسة هذا اللوح خلال فترة ولايته فحسب، خاصة عندما نقض الناقضون ميثاق حضرة بهاء الله وعهده، بل حثهم على دراسته ثانية قبل صعوده بفترة قصيرة، لأنه كان يعلم حق العلم أن قليلا من أتباعه سوف ينقضون الميثاق ويرفعون علم العصيان أمام ولي أمر الله حضرة شوقي أفندي.

يستخدم "لوح ملاح القدس" لغة الرموز والإشارات، وعلى القارئ أن يلم بالحقائق الروحانية المكنوزة في آثار حضرة بهاء الله والتمعن فيها حتى يفهم هذه اللغة ويقدرها. ومع أن الكناية والمجاز يشيران إلى معان عدة، إلا أن حضرة بهاء الله تنبأ بوضوح تام بأحداث قادمة وكشف عن بعض جوانب العهد والميثاق.

وفيما يلي النص العربي لـ"لوح ملاح القدس":

هو العزيز المحبوب

أن يا ملاح القدس ... فسبحان ربنا العلي الأعلى.

يشير حضرة بهاء الله في هذا اللوح إلى نفسه بأنه "ملاح القدس"، وإلى أتباعه بأنهم "أهل السفينة". وفي آثاره عامة فإن اصطلاح السفينة (الفلك) غالبا ما يرمز به إلى أمر الله وميثاقه. وكل من دخل فيه نجا وأمن وأبحر نحو شاطئ الخلاص وتنور بنور الله.

ويومىء حضرة بهاء الله في فاتحة اللوح إلى عظمة ظهوره، وهي العظمة السامية فوق الإدراك، وإلى أن ظهوره هذا هو "الذي فيه تجلى الله بنار الجمال في سدرة البقاء". "وفيه يطوف موسى العز بجنود البقاء". ثم يشهد بعد ذلك بأن الذي كلم موسى في طور سيناء، قد ظهر اليوم أمام الناس حتى يتمكن المؤمنون - ممن ركبوا في "سفينة البقاء" وكانوا "هياكل الروح" - من الوصول "إلى مواقع القرب في مكمن البقاء" إذا ما طهرت قلوبهم وصفت نفوسهم.

وحتى نقف على أهمية هذا اللوح المبارك، علينا أن نعي أن بظهور حضرة بهاء الله قد ظهر يوم الله الموعود، وبه فاز عالم الناسوت بأبدع المواهب والعطايا.

وفي ثنايا كتاباته تكثر الإشارات إلى عظمة ظهوره. نقتطف هنا بعضها من ألواحه:

"إن المقصود من الخليقة هو ظهور هذا اليوم الأمتع الأقدس المعروف في الكتب والزبر والصحف الإلهية بيوم الله. يوم كان الأنبياء والمرسلون والأصفياء والأولياء المقربون يرجون لقاءه". "إن سلطان ما جرى من لسان الملل الأولى وأقلامهم، قد نزل في الحقيقة في هذا الظهور الأعظم من سماء مشية مالك القدم".

"تالله الحق تلك أيام فيها امتحن الله كل النبيين والمرسلين ثم الذين هم كانوا خلف سرادق العصمة وفسطاط العظمة وخباء العزة". "لو ظهر مقام هذا اليوم لفدى كل نفس بمائة ألف حياة على هذه الأرض فكيف بترابها وزخارفها".

"لعمري إن الأمر عظيم عظيم واليوم عظيم عظيم".

"بشر كل نبي بهذا اليوم وناح كل رسول حبا لهذا الظهور". "ما أن أشرق هذا الظهور من سماء إرادة الرحمن حتى نادى ألسن الكائنات: الملك لله العلي العظيم".

"حقا أقول لم يدرك أحد أصل هذا الأمر". "في هذا اليوم على الكل أن ينظروا بالعين الإلهية ويسمعوا بالأذن الرحمانية. من ينظرني بعين غيري لن يعرفني أبدا. لم يقف أحد من المظاهر السابقين على كيفية هذا الظهور بتمامه إلا على قدر معلوم".

"إن هذا اليوم يوم عظيم. وهو مذكور ومسطور في الكتب والصحف المقدسة بيوم الله. ومن هذا البيان عظمة هذا اليوم ظاهرة ومشهودة. لقد فدى الأنبياء والرسول بأرواحهم وأنفسهم شوقا لهذا اليوم المبارك، وتحسرت لوصاله الملل والأقوام الماضية".

"هذا يوم فيه فازت الآذان بإصغاء ما سمع الكل في الطور والحبيب في المعراج والروح إذ صعد إلى الله المهيمن القيوم".

إنه فضل إلهي لا يعادله فضل في الوجود أن يولد الإنسان في هذا اليوم الجليل ويحظى باللطاف كهذه، وما هذا الفضل إلا امتياز مثقل بالمسئوليات الجسام أيضا. ذلك أن مهمة المؤمن بعد الإقرار بمظهر أمر الله هي إطاعة أوامره وأحكامه بإخلاص. وإنه بدون ولاء مثل هذا وتفان ممتد إلى أعماق القلب لن يكون ثبات على العهد والميثاق. إن مصير المؤمن الحقيقي وما يمكن أن يرقى إليه من سمو يعتمدان على إخلاصه ووفائه لأمر الله.

عندما يفوز المؤمن بعرفان حضرة بهاء الله ويدرك مقامه فإنه يدخل "الفلك" وتتحرر لديه الطاقات الروحية الكامنة بفضل قوة محبوه وبإلهامات كتاباته فتهبه القدرة على التسامي والتعمق في أمر الله، إلا أنه في الوقت نفسه ستتضاعف الامتحانات أمامه لأن إيمانه سيتمحن بشتى الطرائق والسبل. فبعضهم بالمعاناة والاضطهاد وآخرون بالمشاحنات الروحية التي قد تدوم العمر كله. أما إذا تسلح الفرد بإيمانه واستعد في كل وقت أن تدوي إرادته في إرادة مولاه فإنه سيفوز في النهاية لا محالة، أما غبار الأنانية وهوى النفس ولوث الدنيا فإنها عوائق تحول دون تقدمه الروحي وقد تطفئ له شعلة الإيمان في النهاية.

إن المؤمن الصادق في هذا اليوم يمكنه بلوغ أسمى المقامات شأنا، فقد انبثق نور يوم الله بمجيئ حضرة بهاء الله الذي أشرق بهائه على العالمين، وغمر بفيوضات

بحر ظهوره عالم الوجود كله، وبعث في الإنسانية مواهب جديدة. وفي ما يلي كلمات حضرة بهاء الله يصف بها مقام المؤمن الصادق:

"يا أهل البهاء قد جرى كوثر الحيوان لأنفسكم أن اشربوا منه باسمي رغما للذين كفروا بالله مالك الأديان. قد جعلناكم أيادي الأمر أن انصروا المظلوم إنه ابتلي بين أيدي الفجار إنه ينصر من نصره ويذكر من ذكره يشهد بذلك هذا اللوح الذي لاح من أفق عناية ربكم العزيز الجبار."

"طوبى لأهل البهاء! يشهد الله أن هذا الجمع هو قرة عين الخليقة ونور بصيرة الإبداع والفترة. بوجودهم تزينت عوالم الله وتطرز اللوح المحفوظ السبحاني بطراز بديع. هم النفوس التي ركبت سفينة الاستقلال وأبصارهم متوجهة إلى مطلع الجمال. حبذا لهم بما وفقوا إلى ما أراه ربهم العليم الحكيم. بأنوارهم تزينت السموات واستنارت وجوه المقرين". "قسما بحزن جمال ذو الجلال قد قدر لكل مقبل مقاما إذا كشف عنه لأهل الأرض بأقل من سم الإبرة ليهلك كل ناظر شوقا له. لذا سترنا في هذه الحياة الظاهرة مقام المؤمنين عن أنظارهم". "لو كشف الغطاء لينصعق من في الإمكان من مقامات الذين توجهوا إلى الله وانقطعوا في حبه عن العالمين".

كما أفاض قلم حضرة عبدالبهاء بالعبارات التالية:

"إن المقام الذي أعد لكل من أقر بهذا الأمر لهو عين المقام الذي أعد لأنبياء بني إسرائيل من غير أولي العزم".

كل من حاز هذه المرتبة غدا رمز التفاني ونكران الذات، والتواضع والعبودية وسوف يفنى في ذاته ويحيا بذات الله. وهذا هو المؤمن الذي يستحق، كما تفضل حضرة بهاءالله في "لوح ملاح القدس" أن يكون ممن: "يطيرون بجناحين الروح إلى مقام الذي قدسه الله عن الذكر في ممالك الإنشاء". "ويتحركون في الهواء كطيور القرب في جبروت اللقاء". "ويطلعون بالأسرار في لجج الأنوار".

وفاز نفر من أصحابه بهذا المقام الرفيع، فأظهر هؤلاء إيماناً وتفانياً وتواضعاً وتجرداً لم تشهد له الإنسانية مثيلاً في الدورات السابقة.

وتشرف آخرون بمحضرة الأنور ينهلون من علمه اللدني ولكنهم كانوا عاجزين عن إظهار الخشوع والخضوع والتواضع والتسليم أمام المظهر الإلهي بسبب غرورهم وطموحهم الدنيوي. فعميت أبصارهم عن مشاهدة مقامه القدسي لأن الحسد والغيرة

ملأت نفوسهم وهم يرون علو شأنه وازدياد نفوذه، وطمعوا في أن يحظوا بمثل مقامه وأن ينالوا منزلة مثل منزلته.

خلق الإنسان حتى يحب الله ويعبده، ويؤمن برسوله ويطيعه، ويكون كل ما يتمناه الاستقامة في عبوديته وازدهار مناقبه الروحية. إلا أنه كان هناك من عرفوا مظهره واعترضوا عليه وسعوا بأنفسهم للوصول إلى مقامه. إن عملا كهذا يجلب على صاحبه غضب الله وقهره ومثلهم مثل الذين نقضوا عهد حضرة الباب وميثاقه أو عارضوا حضرة بهاء الله، أو نقضوا ميثاق حضرة بهاء الله وعارضوا مركز العهد والميثاق حضرة عبدالبهاء.

لهؤلاء النفوس وأمثالهم أنزل حضرة بهاء الله في "لوح ملاح القدس" ما يلي:

"وأرادوا أن يصعدوا إلى مقام الذي جعله الله فوق مراتبهم إذا أطردهم شهاب الدري من سكان ملكوت اللقاء... وسمعوا لحن الكبرياء عن وراء سراق الغيب في مكنن السناء... بأن يا ملائكة الحفظ أن أرجعوا هؤلاء إلى مواقعهم في ناسوت الإنشاء... لأنهم أرادوا أن يطيروا في هواء الذي ما طارت فيه أجنحة الورقاء".

بهذه الكلمات يشير حضرة بهاءالله، لأول مرة وبكل وضوح، إلى أن أولئك الذين يجابهون مركز العهد وينقضون ميثاق الله سوف يطرحون خارج أهل البهاء.

إن "الشهاب الدرّي" يمكن أن يرمز إلى الأداة القادرة المقتدرة التي أسّسها حضرة بهاءالله لحماية أمره الأوهي "عهده وميثاقه". ففي أيام ولايته كانت لحضرتة وحده السلطة في طرد ناقضي العهد والميثاق ومن بعده انتقلت إلى حضرة عبدالبهاء ثم إلى حضرة شوقي أفندي بعد ذلك كولي لأمر الله. أما من قام على النقض في هذه الأيام فإن قرار طرده راجع إلى أيادي أمر الله المقيمين في أرض الأقدس ومنوط بتصديق بيت العدل الأعظم.

لم يسبق في تاريخ الأديان أن يحدد أي رسول إلهي الإجراءات المتعلقة بطرد من ينقض عهده وميثاقه أو من يناوئ من ضمن جماعته مركز عهده. وما هذه الإجراءات إلا ميزة فريدة من ميزات دين حضرة بهاءالله. فعن طريق هذه الإجراءات يتطهر أمر الله من الشوائب التي تعلق به من وقت لآخر، كذلك جسم الإنسان فيه من الأعضاء ما ينقي الدم من المواد السامة التي تلوثه أحيانا، فيتخلص منها في فترات متعاقبة، وهكذا فإن الأمر الإلهي قد منح مؤسسات تعمل بطبيعة تكوينها على تطهيره من العناصر الضارة الموجودة في صفوف أولئك المنضمين تحت لوائه.

حين أنزل "لوح ملاح القدس" كان الأخ الخائن غير الشقيق لحضرة بهاء الله، ميرزا يحيى والسيد محمد الإصفهاني وقلة آخرون، لا يزالون أعضاء في الجامعة البابية وعلى صلة وثيقة بها بالرغم مما ارتكبه من خطايا وآثام. وقد تنبأ حضرة بهاء الله بمصيرهم في هذا اللوح. ولم تمض بضعة سنوات كما سنرى في المجلد التالي من الكتاب، حتى طرد كل هؤلاء من جامعة الاسم الأعظم، ليستمر دين الله الفتى في نموه وتعاضم حيويته بعد تطهيره من تلك الشوائب.

يقوم بعض الناس بنقض الميثاق الإلهي ويخونون عهد صاحب الرسالة الإلهية. وفي ما سبق من الأديان نجح هؤلاء في بث الفرقة والتشيع في دين الله. غير أن الأمر اختلف في هذه الدورة التي تعد ثمرة كل الديانات والأدوار السابقة، فقد باءت بالفشل المحاولات التي بذلت لخلق الفرقة والاختلاف رغم قيام العديد من داخل جامعة المؤمنين في مقاومة مركز الأمر الإلهي. ويذكر حضرة بهاء الله في أحد ألواحه أن أمر الله في هذا اليوم من العظمة بمكان بحيث تكون القوى التي تنبى لمعارضته على جانب كبير من العظمة أيضا، وأن هجوم المنكرين ضد أمر الله هجوم عنيف شرس. لقد قام ناقضو ميثاق حضرة الباب وحضرة بهاء الله على تقويض أركان الصرح الإلهي بكل ما أوتوا من قوة، وبالرغم من تكاتفهم فإنهم لم يتمكنوا من تحقيق هدفهم في تفتيت وحدة أمر الله. وما هذا الصمود إلا صفة من صفات هذا الأمر الفريد والمدعوم بميثاق إلهي ضمن لدين الله وحدته وسلامته.

إن كل ناقض لميثاق حضرة بهاء الله قد تم فصله وطرده من الجامعة. فالفرع السقيم في الشجرة يقطع مع أنه يظهر في البداية مفعما بالحياة، ولكنه لا يلبث أن يموت فريدا في عزلته. إنها حقيقة ماثلة أمام ناقضي الميثاق في هذا اليوم الذين تراءى لهم أنهم زرعوا الدمار والخراب بين صفوف الأتباع، إلا أنهم ببتهم من الشجرة الإلهية غابوا واندثروا بالكلية، وغربت عن الوجود سحابة نفوذهم ولا نرى منهم اليوم سوى الأسماء.

إن "حورية الروح" التي ذكرت في "لوح ملاح القدس" صورة شعرية مجازية ذكرها حضرة بهاء الله في آثاره المباركة للإشارة إلى نفسه أو لإحدى المواهب الإلهية، وفي بعضها كان يريد تجسيد "الروح الأعظم". وفي اللوح يشير إلى نفسه بأنه "الفتى العراقي النوراء" والغلام "الذي ستر في سرادق النور" والذي بقي "في أرض الغربية وحيدا فريدا بين أيدي الفسقا".

يحتوي اللوح على جواهر ثمينة من المعرفة وأودع فيه حقائق عديدة من حقائق أمر حضرة بهاء الله، ويمكن اكتشافها فقط من خلال التعمق في أمره والتمعن في كلماته.

واللوح، باللغة الفارسية، يشبه في معظم أجزائه، اللوح بالعربية، إضافة إلى النصائح والإرشادات نفسها التي خص بها أتباعه. فمثلا حثهم على ألا يستبدلوا نعمة الحضور بين يديه بكل ما في الأرض والسماء، وألا يطلبوا القرب من سواه. ويذكرهم بأن القلب هو منزل المحبوب فلا يسمحوا لغريب أن يدخله، ويدعوهم أن يفيقوا من قبور النفس والهوى وينصحهم بالوفاء، فإن لم يتمكنوا من الوصول إلى أسمى ذروات التقى والانقطاع عليهم، على الأقل، أن يسعوا ليكونوا مخلصين وأن يبذلوا جهدا حثيثا ليعكس سلوكهم خبايا قلوبهم بصورة صادقة.

إن الإخلاص والوفاء سمة المؤمن الحقيقي وسجيته، فما أعظم الألم الذي ينزل بالمظهر الإلهي حين يخونه من يدعي الإيمان به، فلا يوجد هناك من ألم -أكان تعذبا جسديا أو استشهادا- أشد من هذا الألم بالنسبة له.

عندما استمع أصحاب حضرة بهاءالله ومرافقوه إلى "لوح ملاح القدس" لأول مرة أصابهم شديد القلق والاضطراب، وأدركوا ما ألمح إليه اللوح من المحن والآلام التي سوف تصيب حضرته. وحقا كان الأمر كذلك. ففي اليوم التالي لنزول ذلك اللوح وصل قرار السلطان المفجع باستدعاء حضرة بهاءالله إلى الآستانة، وكانت ضربة قاصمة لكل محبيه في العراق رجالا ونساء وأطفالا. وفي تلك الليلة عف أصحابه المكلمون عن الطعام وهجروا النوم وتعاهد بعضهم على الانتحار دون تردد إذا حرموا

من نعمة مرافقته إلى مكان نفيه. إلا أنه في النهاية هدأت خواطرهم بنفوذ كلماته ومحبته ولطفه، فرضوا بالقضاء واستسلموا لإرادة مولا هم.

كتاب ظهور حضرة بهاء الله، أديب طاهرزاده، المجلد 1